

الوصية بشكر نعم الله تعالى والتحذير من كفرها

فمن شكر نعمة الله، واعترف بأنها فضله، ولكن تدل على الابتلاء والاختبار، فأدلى حق نعمة الله تعالى، أدى حق الله تعالى، وشكر نعمته، فإن ربنا سبحانه سيزيده من فضله، قال الله تعالى: { وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ وَلَئِنْ كَفَرْتُمْ إِنَّ عَدَائِي لَشَدِيدٌ } فأخبر بأن من شكر الله فإنه سبحانه يزيده مما أعطاهم من خير الدنيا والآخرة، يزيده من الخير الذي هو السعة في الرزق، والذي هو الصحة في البدن، والذي هو إكثار المال والولد، والذي هو الحياة السعيدة المطمئنة. وأمّا إذا كفر نعمة الله، فإنه حري أن يسلّبها أحق ما كان إليها ، كما وقع ذلك لكثير من الذين كفروا نعمة الله، كما حكى الله، ذكر الله عن قوم هود الذين هم "عاد" أن الله مَدَ لهم ووسع لهم، وزادهم في الخلق بسطةً، ومكّن لهم كما في قوله تعالى: { أَبَيْتُوْنَ يَكْلِيلَ رِيعَ آيَةَ تَعْبُوْنَ وَتَخَدُّوْنَ مَصَانِعَ لَعْلَكُمْ تَحْلَدُوْنَ وَإِذَا بَطَسْتُمْ بَطَسْتُمْ جَيَارِيْنَ } فماذا أغنت عنهم قوتهم؟!! لما أنه هددتهم بالعدا قالوا: { مَنْ أَسَدَّ مِنَا فُوَّةً } في نظرهم أنه لا أحد يغليهم؛ لأن الله زادهم في الخلق بسطة، ولأن الله أعطاهم قوة، فطنوا أن قوتهم مانعهم: { أَوْلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي حَلَقَهُمْ هُوَ أَسَدٌ مِنْهُمْ فُوَّةً وَكَانُوا يَأْتِيَنَا يَجْحَدُوْنَ } فأخذهم الله تعالى، وأرسل عليهم ريح، مجرد ريح ! ولكنها ريح شديدة: { تَنْزَعُ النَّاسَ كَأَشْهَمِ أَعْجَازٍ تَحْلِيْلَ مُفْعَرٍ } فهو لاء الذين تكبروا، وتجروا، أمرهم يسير! لا يقاومون أدنى قوة من قوة الله تعالى، فنخشى أن يكون ما نحن فيه استدراجا، كما جاء ذلك في حديث: { إِذَا رأَيْتَ اللَّهَ يُعْطِيَ الْعَبْدَ وَهُوَ مَقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَاعْلَمْ أَنَّهُ اسْتَدْرَاجٌ } يعني قول الله تعالى: { سَتَسْتَدْرُجُهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُوْنَ وَأَمْلِيَ لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتَّيْنُ } يعني: يُمْلِي لهم، وجاء في الحديث: { إِنَّ اللَّهَ لَيُمْلِي لِلظَّالِمِ حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِهُ . وَقَرَأَ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى: { وَكَذَلِكَ أَحَدُ رَبِّكَ إِذَا أَحَدَ الْفَرَى وَهِيَ طَالِمَةٌ إِنَّ أَحَدَهُ أَلْيَمُ شَدِيدٌ } } . فعلى هذا نوصيكم أيها الإخوة بشكر نعمة الله تعالى، وباحسان عبادته، بعبادته وحده، وبالاعتراف بنعمته وفضله، والاعتراف بأنكم إذا شكرتم الله فإنه سيزيدكم من فضله، وأن شكره هو عبادة. أمر أو أوصى النبي صلى الله عليه معاذًا أن يقول في دُبُر كل صلاة: { اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذِكْرِكَ وَشُكْرِكَ وَحُسْنِ عِبَادَتِكَ } هكذا أخبر، أعني، يعني: قَوْنِي عَلَى شُكْرِكَ، وَقَوْنِي عَلَى ذِكْرِكَ، وعلى حُسْنِ عبادتك، أي: أن من أعنائه الله تعالى فإنه يكون من الشاكرين، وأما من وَكَلَهُ إِلَى نَفْسِهِ فَإِنَّهُ قَدْ يَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ، يعني: الكافر لنعم الله، والمنكري لها.